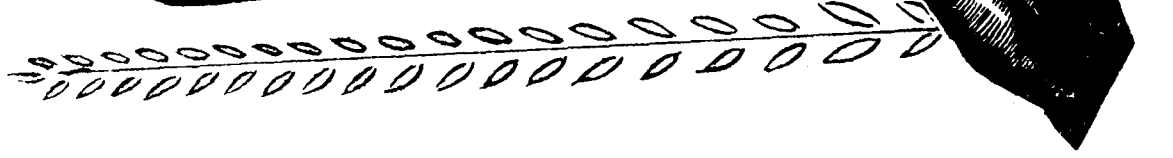


النتائج الجديدة



المهزومون

رواية بقلم هاني الراهب

منشورات دار الآداب - بيروت - ٢٠٦ ص.

لقد كتب هاني الراهب رواية ألم فيها بالحب والموت والصدقة والمثل واحلام المراهقة وتحديات المجتمع .. وتلك موضوعات ادبية يصلح للروائي تناولها وعرض تجربته من خلالها .. ان اسم هاني الراهب لم يتردد كثيرا على اسماع القراء ، واذا اردنا الحق قلنا انه لم يتردد ابد ، لقد بزغ فجأة بدوي صارخ وانقض ملتصقا كأنه شهاب، حين قدم روايته هذه لنيل جائزة « الآداب » ففاز بها . وهذه الرواية تدور حول الوسط الجامعي ومسرحتها الجامعة : الكتيبة والمقصف والنادي والصف وابطالها طالبات وطلاب جامعة . الافكار تحمل طابعا مثاليا تفوح منه رائحة المراهقة وطفرات الشباب . ان الحياة الجامعية حلوة حرة طليقة مليئة بالامال والاحلام والنزوات .. وقد استطاع الكاتب ان يحمل الحروف نداوة حديقة الجامعة وتلاوينها الزاهية ، اما الكلمات فهي دافئة طرية فكانها تمتصت على شفاه عذراء ، وان اردنا الاسلوب فلا نملك لوصفه نعتا خيرا من القول بأنه نابض شديد الخفقان ، وهذه العناصر كلها تتأزر لتمنح الكاتب قدرة على التقاط حركات الابطال . انهم يسرون داخل الرواية بسرعة طبيعية ، بسل يتسارع تنصف به حياة الشبان ، وهذا الاحساس بحركة الناس ضمن المكان ودقة الملاحظة بتغير الاطار والتمكن من تثبيت اللحظة الهاربة واللحمة الخاطفة . كل ذلك يجعل في الرواية حيوية الشباب ونضارة الصبا ويقرب الرواية من روح التجربة ويرفعها الى مستوى المعاناة الحياتية . يبدأ القارئ بمنظر بشر وهو يستيقظ متأخرا ويراقب جوارته تريا وهي زوجة لحلاق فظ يضربها ويهينها دائما ، ظل بشر يراقبها حتى استطاع ان يجرم معها حديثا وصدافة تنطور من خلال الرواية والاحداث حتى تحمل منه .. لكن بشرا لا يكتفي بشريا .. بل من المؤسف ان هذه العلاقة المليئة بالانسانية والمطف هي علاقة ثانوية لا تحتل في حياة بشر الا جانبا ضئيلا لم يكن هو نفسه ليا به له : لقد كان بشر يحب زميلة له في الصف وهذا الحب هو عقدة العقد ، فسحاب مطلقة وذات سمعة تجعل سيرتها موضع نقاش واخذ ورد بين اهله واصدقائه .. ان تريا تمثل الفطرة السوية ، لكنها مظلومة في حياتها، اما سحاب فهي المرأة المتعلمة والمرأة المطلقة ، بكل ما تحمل هاتان السمات لصاحبتهما من عقد واحاسيس ، وسحاب تحتل الصدارة في قلب بشر ، وفي عقله ايضا ، لانه هو الريفي النائر على رواسبه يرى في حبه لفئة متحررة جدا مثل سحاب رمزا يتحدى به نفسه ومجتمعه .. وعلاقته بها تنطور من زمالة الى اشتهاه الى حب الى مشروع خطبة يثور لها اصدقاء بشر واهله لكنه يظل عاقدا عزمه على الزواج

حتى تذهب سحاب في رحلة الى مصر وتعود مع اشاعة جديدة حول علاقتها بفيضان الباهرة .. هنا تستيقظ رواسبه فيكبحها ويستمر في جمع المال عن طريق العمل في الصحافة لكي يستطيع ان يتزوج منها لكنها في النهاية تذهب معه الى غرفته وتقول له « حاولت جاهدة ان اقتصر عليك .. لكنني كلما التقيت بشخص يشعري بأنه رجل كان يقيدني .. » كان جسدها فوق ارادتها ، ولقد حاولت ان تستسلم لبشر في تلك الآونة فلم يمتلكها ، وهذا التصرف يؤكد طابع المراهقة في الرواية جميعها ، لقد خلق بشر من سحاب حبيبا سماويا، وحين ابصرها في التراب عجز عن التصرف الناضج ، ولمسل اجمل صورة للعلاقة بين شباب يتلمسون طريقهم الى الحياة دون ان يملكوا الجزم بالحكم على طبيعة الاشياء ، هي صورة العلاقة بين بشر وبين واحة .. ولكي نشرحها بكل جزئياتها يجب ان نذكر ان ابطال القصة هم من الطلاب الغريب الذين يفتنون الى الجامعة ليدرسوا ، وغالبا ما يؤلف ابناء المحافظة الواحدة مجتمعا خاصا بهم . ومعظم الابطال هم من محافظة اللاذقية ، فالمعرفة بينهم ليست جديدة ، فضلا عن ان الغربة تشدهم الى بعضهم بعض .. لذلك نرى الاسرار متبادلة بينهم ففائز يحب واحسة ، وبشر صديق الطرفين . لكن الاحداث تكشف عن تعلق واحسة ببشر وقبول بشر لهذا الميل وتشجيعه مع احتفاظه بعشقه لسحاب .. وفي الوقت الذي يكشف حقيقة سحاب وينازل عن رغبته بها ويشند ولعه بواحة لكن واحسة ترقد على سرير في المستشفى لتتوت بتدن الرثة .. وموتها رمز لانعدام الحب والبراءة ، اما بقاء الطفل في رحم تريا فانه يرمز الى استمرار الحياة وتواصل الخطيئة فيها ، والهزيمة تتجلى في موقف بشر ، فهو لا يظفر من سحاب لا بالحب ولا بالجسد ، كما انه عاجز امام حيل تريا وموت واحسة .

هذه هي الخطوط والشخصيات الرئيسية في الرواية . هناك طبعا افراد آخرون ، لكنهم لا يحفرون دربهم في وجدان البطل وانما ينزلقون مع احداث الحياة اليومية والمناظرات التي تدور بين الاصدقاء .. والهزائم التي لحقت بهم ليست اكثر من صدمات خفيفة لا تتجاوز شفاف القلب . وكان يمكن ان تسقط الرواية الى مستوى الميلودرام الممجوج لولا موهبة الكاتب التي تتجلى بالحساسية والتوفر ودقة الملاحظة وسرعة الالتقاط . يخرج من فم شاب لم يلق طعم المرارة بل لمح اطيافا من الاحداث خيل له انها مصائب كيانية قد تغير تاريخ العالم ، ان البالغة وتصخم الاحساس بالذات من صفات المراهقة ، والحركة الخفية في الرواية تأتي من رعونة الشباب : سكرهم ، مناقشاتهم ، آمالهم . وقد زادت الحركة عن حدها فحرفت الشخصيات في تيارها . ان المراهق عاطفي سريع التنقل .. ومن هنا لا نحس بثقل وزن الابطال على مسرح الحياة .. انهم خفيفون سريعو المبادرة وسريعو الانقياد . متحمسون دون ان يعوا ما حولهم حتى الوعي وهذا ما جعل صفة الحركة في الرواية تتأرجح بين كونها ميزة

حسنة او ميزة سيئة . ان جذورا واهية تربط مشاكل هؤلاء الشباب بمشاكل مجتمعهم ، وقد حاول الكتاب ان يعمق الصلة بين الازمة الفردية والازمة الاجتماعية فلم يفلح . حاول مرتين : في الاولى عن طريق تصرفات سحب وفي الثانية عن طريق محاولته التطوع فسي الثورة التي نشبت في احد الاقطار العربية .. لكن الطريقتين اوصلته الى جدار قطع عليه محاولته .

ان الحوار موفق في اغلب الاحيان ، لكنه يفضل في المواقف العاسمة .. ذلك لان بعض الشخصيات لا تتعلق بمنطق الخلق الفني وانما تخضع لتصور ذهني مسبق . والحق اقول اني اصبت بخيبة امل حين كشف بشر شخصية سحب بهذه اللهجة المباشرة ، لقد اعلن حقيقتها على لسانها وبكلام يشبه المحاضرة ، ان سحب لا تبدو الا من خلال اعجابه بها وحديثه عنها ، وفي اللحظة التي تحضر بها الى المسرح يفضل الكاتب في اثبات حضورها ، وهذا ما يجعلها احيانا تتكلم وكأنها عباس العقاد وليست زوجة حلاق ، كقولها : « انت ثاني رجل احتك به قريبة منه . وقد لا ندعو الاول رجلا فانا لا اعرف معه معنى الرجولة ، كان دائما .. يفتنني » .

واخيرا يجب ان نقرر ان الرواية تنقل قطاعا من الحياة بأسلوب حي متدفق ، لكنها لم تصل الى مستوى ان تطرح قضية او تجيب على قضية . كل ما فيها انها احتكت بالمشاكل احتكاكا سريعا مثلما لمس ابطلها الوقائع ومروا مرور الكرام .

محي الدين صبحي

من الاعماق

شعر محمد راضي جعفر

١٢٨ ص . من القطع المتوسط - مطبعة (؟)

ان تعبير الشاعر الفرنسي بيير جان جوف الذي جاء في احدي يومياته التي اصدرها بعنوان « في المرأة » يصح ان يطلق على صاحب هذه المجموعة ، الاخ محمد راضي جعفر . فهو على حد تعبير جوف ، شاعر يكتب بدمه ، ولم لا والاخ جعفر من الشعراء الشباب الذين تمردوا على واقفهم وكفروا به لتناكله وفساده ، كفروا به في ثورة مرعبة وعنيفة لاهب !

ان « من الاعماق » هو باكورة انتاج الشاعر ، وقد اهداه الى « الحناجر التي تصوغ نشيد الفجر ، الى الثوار العرب في كل مكان » . ضم الديوان بضعا وثلاثين قصيدة ينتقل قارئها بين : ١ - رهافة الشعور وعذوبته . ٢ - ظلال « سليمانية » تنكف احيانا حتى يفسد شعره صدى باردا لشعر العيسى . ٣ - ايمان بخاصي الامه العربية الفابرة وتمنيات حاره في ان يكون المستقبل صورة صادقة له { - تقريرية في الاسلوب وتجر في الخيال . ٥ - عاطفة ودعة وآهات مسهدة من اجل حب رضيع خلته مات قبل ان ينشق الشاعر عطره الشهى . ٦ - حقد راعف على اعداء الامة العربية من مستعمرين وعملاء وشعوبيين .

ان الاخ جعفر ذا نفسية غنية وقلب كبير وروح متطلقة في اجواء ليس لها اخر ، بيد انه تعجل كثيرا في طبع ما تجيش به اعماقه من خواطر وعواطف وآهات ، فجاء اكثرها لا يستطيع التحليق في اجواء الفن السامقة لانه كبير الجناح فائر الروح لابتنائه بافات التقريبية والجمود ، ولو انه تمهل قليلا لطلع علينا بباكوره تضم شعرا حيا لان بعض تباشيره ظهرت في قصائد الشاعر المتأخرة التي ضمت بعضها هذه المجموعة !

ان اجمل ما في (من الاعماق) تلك التراجم الحلوه التي استعار ايقاعاتها النديفة من اصداق قيثار سليمان العيسى الخضراء .. انها انغام علوية عزفتها رهافة الشعور وعذوبته وغنى العاطفة وحدتها . ففي (ان تحصد الجراح) تعانق حدة العاطفة وعذوبة

الشعور لتولد نفعا ينساب في رفق وحلاوه كأنه بسمه من ينبوع : ابعث النور فانهمي يا ظمء وتروي من نبعه يا سماء واهدني يا جراح فانكاز حي زاخر النبض راعش وضاء موكب النصر اي حقد عريق الهبتة زئودك السمراء اي درب قطعت والشوك مدم وخطانا تنوشها الرمضاء اي درب صبقتة ارجوانا ركمت فوفه تصلي الدماء الا ما اجمل هذه الترتيلة الطافحة بالامل والكبرياء .. وما انصح « ابعث النور » و « اهدني يا جراح » وما اجمل صلاة تلك الدماء النفاذه على درب امتنا المفروش بالضحايا !.

وفي « الى الشهيد » المهداة الى روح الشهيد عدنان المالكي بعد مرور خمسة اعوام على استشهاده ، نرى ان وميض الرعشات العاطفية يتقد بعنف طافح بالالم والعذابات ، بيد ان ظلال « سليمان العيسى » تجعلنا لا نصفق للشاعر بحراره لان سنى شخصيته يخبو امام تلك التلاوين الشرة الطافحة بازهار الخلود في شعر العيسى :
رن في مسمعي الكليل نداء وسرت في رعشة رعناء واطلت رؤى ففت منذ حين يا لشعري فتية خضراء (١)

✱

لقد اغتيل فارس الساح غدرا كيف بالله ناله الجبناء كيف يخبو لهيب نار كفاحي او يستطيع ذلك الاعداء يا سمر الایمان كيف تظلي في دمانا وما له اطفال رزنت فيك امتي اي رزه فاستهلت دموعها الصحراء ولعل اجمل قصيدتين في المجموعة هما « لنا الفد » و « آغنية نصر » وهذه الاخيرة تجسد لنا بصفاء نفسية الشاعر الثائر التي ما عرفت الحياة الا فصولا دامية تصطف على جنباتها امواج النضال المريدة .. انه ابدا يعن الى لهيب السباح واواره .. وان مرارة جرحه الشاعر لما تزل فوق فمه .. انه يرتضى لها ، يحيها ومضة للفد الباسم .. غد الوحدة والحربة والعدالة ، اعجبني في القصيدة هذه الابيات :

سكرة النصر فوق كل جراح فاديري لنا كؤوس السراح طالما ضج بي لكاسي حين كحنين السي اوار السباح الهيبي نارا تفجر شمري انا من طاب عيشه بالجراح لم تزل في فمي مرارة جرجسي عشنتها ومضة الفسد الوضاح اما قصيدته « تربة الاجداد » التي اراد ان يحاكي بها قصيدة سليمان العيسى « انشودة العودة » وقصيدته « اللواء المنكس » التي ترسم بها خطى الاخطل الصغير ، فما اظنه وفق فيهما ، اذ لا عطاء جديد ولا صورة شعرية جميلة ، بل تقليد وتقريبه وجمود وركض وراء الغافية ، ولعل هذه الظاهرة الشرسة للقارئ اكثر فاكث اذا ما قرأ الشعر العاطفي في المجموعة ، حتى ليرأى له ان الشاعر ما خلق لينظم غزلا فيه رقة وعذوبة وانسيابا ، انما خلق ليهدر شعرا كفاحيا يزلزل به اغوار الطامعين والاذناب من اعداء امته التي ادنى حافر مهرها جبين الكواكب والاقمار !.

ففي « نار و نار » التي يناجي بها حبيبته العابثة « سعاد » نرى سذاجة الخواطر وانعدام الصور وابتذال الالفاظ حتى ليحس القارئ ان شاعره شارف على الموت الفني او كاد :

يصونك الرحمن رب العباد من اعين الشر وعين الفساد جبالك جل شأنه آية في الحسن تسمو بك فوق العباد

✱

ه نا يجنب القلب صك الهوى ينتظر التوقيع صك الوداد فامتثلي يا غادتي واقبلي نوقع الصك ممسا باتحاد الا ما اقبج كلمة « صك » ان الفاظ القصيدة لا رواء فيها

(١) في رأيي ان كلمة (فتية) هنا من حشو القول ، بدليل ان (الخضرة) تعبر عن الفتوة والشباب ولو قال الشاعر « نديه خضراء » لحسن المعنى .

ولا عطر .. مع أن القصيدة كما يقول - مالاميه - « بناء حي من الالفاظ بيد ان لفظه واحدة - في غير مكانها - كافية لان تقتل القصيدة كلها ! »

كما ان موسيقاها تشكو التمثل احيانا .. فهو لم يستطع استغلال « السريع » هذا البحر المشحون بشلالات بارعة الرذاذ من الموسيقى التره !

اما القصائد الغزلية الاخرى « نجوى ، رسالة اليها ، ماجولين ، اخرى ، زله » فلم ار فيها طريفا يثيرني ، او الفاظا جميلة تجرح مسارب صمتي ، او صورة حية تأخذ بليبي ، انما هي خواطر عاديه صيغت بالفاظ تشكو السام القاتل والفراغ الجريح .

ومن قصائد الديوان التقريرية قصيدة « ذكريات » وهو لو لم يضمها الى المجموعة لكان اوقع واحلى ، بيد ان الاخ الشاعر كان على ما يبدو وقد دفع كل ما في حوزته من شعر الى المطبعة فأعاد مأساة الكثيرين من الشعراء والكتاب الذين نراهم يتألمون بقسوة عندما يعانق خيالهم خواطر الماضي واحداه ، انهم يكون ما فاتهم من سنين كانوا قد تجلوا بها فجرهم التيار الصاحب نحو السراب البلقع ، نحو الهاوية الرهيبة .

والان لتر كيف ان جبين الشاعر يلامس التراب في ذكرياته الدامية يوم كان الظلام يعر يد باوصاله :

اخي والذكريات لها ضرام اخي والعين بعدك لا تنام
اخي والبين شف الجسم شفا اخي والقلب شوقا مستهام
اخي والموود يشجيني بليبي باونار تملكها السقام !

✱

وقد ادمى عذاب البين روحي وقد وهنت ضلوعي والفظام
فتأتيني ورأس ابيك يوم وومي من عذاب البين عام
الا فالصبر - يا ويلي - دواني والا فالحمام لي الختام
ابتدال في الالفاظ وجمود في الخيال ، وموت عاطفي ملحوظ
وسطحية باردة ، اننا نريد شعرا تبقى من جنياته الطراوة والدفء
وصدق الاداء وقوة التميز وعمق الصور ، هذه مقومات الشعر الجيد
فان خلا منها اصبح شعرا سرايبا يرقد في احضانه الجذب والمحولة
والاجترار .

ومن صور الموت الشعري الاخرى قوله :

نم تنكب ملوك وامنارات وصيد
وكذا شأن شعوب الكون للظلم تبيد (٢)

او قوله :

يا جيش امة العرب يا مريض الصيد النجب
يا قاصما ظهر بغاة القوم اعداء الشعب
يا فتية يخشى العدى لقاءها ويجتنب

✱

تحية الى رجال فيك قد نالوا الرتب
الى الاشواوس الاتى قد ركبوا البحر اللجب (٣) -

او قوله :

شعبك الصعب المراس لم يعد بعد يقاسي
شاء بالامس انطلاقا وبلاذا ذات باس
ويشاء اليوم امرا فيه توطيد الاساس
اتبع الذيل الذي بدده الشعب براس
واسحق الدور الذي قد عات في الحقل السياسي (٤)
ان هذه النماذج - ومثلها كثير في المجموعة - ابعث ما تكون عن
الشعر .. انها « احداث هزيلة » من كلام موزون مقفى او قل هي
نظم جاف امانت الناحية الجمالية للشعر فكان على الشاعر ان لا

(٢) « ذكرى وثبة كانون » ص ٩٢ « الديوان » .

(٣) « يا جيش امة العرب » ص ٨٠ .

(٤) « توطيد الاساس » ص ٦٢ .

يخرجه للملا القارئ فتلك خطيئة فادحة ستظل تلاحقه كالحقيقة
السوداء ككؤوس الشقاء التي ملامها بيده وظل يعب منها دهاقا
بلاعد .

هذه خواطر نقدية مبتسرة فزت الى خيالي اثناء قراءتي للمجموعة
املها تفوقي الخاص للشعر الحي .. اني ارى ان اهم مقومات
الشعر الجيد الصورة العميقة والخيال الجنج ووضوح العبارة مع
الاهتمام بجزالة الالفاظ وتسلسل الفكرة وكثرة المعاني البتكرة ! ..
واللاحظ ان خواطري النقدية قد انصبت على نقطتين هامتين
من النقاط الست التي ذكرتها في صدر هذه المقالة هاتان النقطتان
هما : « الظلال السليمانية » التي نهل من اجفانها صاحب المجموعة
ما شاءه الخيال ان ينهل ، والثانية - وقد اطلت فيها عامدا - هي
الابتدال في الالفاظ والتقريري في الاسلوب والتجدر في الخيال ،
اما الظواهر الاخرى فهي موضوعية بحته ولا علاقة لها بالرعشات
الفنية للقصيدة لذا فقد احببت ان لا اشير اليها بشيء لوضوحها
وسهولة تناولها .

واخيرا اود ان اذكر هنا اني من الذين يؤمنون ايمانا معمقا بقول
الناقد الامريكي « كارلوس بيكر » الذي يرى « ان مهمة الناقد .. ان
يفهم موقف الفنان قدر المستطاع وليست مهمته ان يشهر بالفنان
مزدريا او يتهمه بالفش والتصنع .. بل الحق ان مهمته هي ان يميز
عناصر النجاح من عناصر الاخفاق وان يكشف عن العلة في كل منها
وان يقيد كل تجربة فنية او غير فنية نجحت في تلك الفترة » .
وهي الختام لا يسعني الا ان اعترف لصديقي الشاعر ان كنت قد
قسوت عليه فلقد عهدته انا فيه طيبة ووداعة واخلاص ، ولا انكر
انه يحمل بنور شاعرية خصبة معطاه اتمنى لها المزيد من التقدم
والاستمرار ، وعسانا نلمس اشياء فيها جدة وثراء في مجموعته المقبلة .
تحياتي العربية الصافية للشاعر مع محبتي وتقديري ..

مزيد الظاهر

البصرة - العراق

دار الاداب تقدم

سلسلة اجوائز العالمية

أروع الروايات التي فازت بجوائز عالمية وترجمت
الى عدة لغات ، ولا غنى للقارئ العربي ، اذا اراد ان
يستكمل ثقافته الادبية ، من الاطلاع عليها .

ويسر « دار الاداب » في بيروت ان تضطلع بهذه
المهمة ، فتقدم قريبا جبا ، وبالتالي ، حلقات هذه
السلسلة ، مترجمة الى العربية ترجمة دقيقة امينة
باخراج اتيق .

ترقبوا الاعلان عنها
في اعدادنا القادمة